السخرية وأغراضها في الشعر العراقي المقاوم

أحمد مطر أنموذجاً

طالبة الدكتوراه منيژه نـجفيان
الأستاذ المساعد الدكتور
محمد جواد غانمي
jghnemy@yahoo.com
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة آزاد الإسلامية آبادان ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية وآدابها

The revolutionary irony in contemporary Iraqi poetry - Ahmed matter felt like a model

A. ph. D. Candidate
Munieera Najafian
Asst. Prof. Dr.
Mohammad Jawad Ghanimi
The Islamic Republic in Iran
Faculty of Arts Department of Arabic

الملخص:

السخرية نوع من البيان لإظهار الموضوعات الانتقادية تكمن في نفسها البهجَة والنّفرة متزامناً، تُبين المفاسدَ والمعايب للفرد أو المجتمع وتُضَخّمها وتجعلها أكبر مما هي في الواقع. الغاية من استخدامها، الإبانةُ وتنوير الأفكار لإيجاد مدينةٍ فاضلة لا يوجَد فيها الكذب والنِّفاق والظّلم. الأديب السّاخر يلبس المشاكلَ الّتي تُؤذي النّاسَ زي المطايبة لتُعَجبَ الأذواق السّليمة. قامت هذه الدراسة بمعالجة السخرية في شعر أحمد مطر، وقد بيّنتْ أنّ ظهور السخرية جاء بفعل تغيّرات اجتماعية كبيرة، أثّرت في الفرد والمجتمع، وقد اتّخذ الشعراء العراقيون وعلي رأسهم أحمد مطر منها وسيلةً من وسائل النقد والتغيير، فعمدوا إلى كشف كثير من المشاكل والثغرات والعيوب بأساليب أدبية وبلاغية رفيعة، ونادوا بمعالجتها.

وقد بنيت الدراسة علي مقدمة ومحاور عدة للموضوع الذي نحن بصدده وتوصلت في نهاية المطاف إن السخرية بأغراضها المختلفة وظفت كتكنيك فني لتعري السلطة وأفعالها وشحذ العقول وتوعيتها (عقول الشعوب) تجاه ما يدور في فلكهم السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي من أحداث وتطورات والعمل علي اصلاح الخلل فيها.

الكلمات المفتاحية: الشعر العراقي المعاصر – الشاعر أحمد مطر – السخرية – أغراضها – تنوير الأفكار – شحذ العقول.

Abstract:-

The contemporary Arab poets have used various techniques to highlight their attitudes towards the prevailing conditions in their countries. Some of them have taken symbolism and symbolism as a way to combat negative situations. Some of them have taken cynical and revolutionary mockery as a means of deterring the ruler and exploiting him in a sarcastic language that deters injustice and injustice. The contemporary Iraqi poet Ahmed Mata may be one of the prominent Iraqi poets who have taken upon themselves to defend the homeland. His poems and sarcastic style were a violent reaction, a harsh cry, a sharp and harsh rebuke against the Baathist regime, its repressive practices, and the conspiracies of government authorities, informants, secretaries and foreigners. Through cynicism, he tries to criticize the current Iraqi situation, the Arab nation and its political men, and urges the Iraqi people to move for their cause and stand up and stand against the Baathist regime.

This study, which is based on the descriptive-analytical approach, aims at addressing the concepts of the revolutionary irony and its semantic fields in Ahmed Mata's poetry and to show his sarcastic style in dealing with the issues of Iraqi society and showing its effect in awakening citizens' awareness in fighting tyranny and confronting tyranny and fighting contradictions and ignorance. False slogans and rejection of deplorable reality

Keywords: Contemporary Iraqi poetry, Poet Ahmed Matar, Sarcasm, Its purposes, enlightenment ideas, sharpening minds.

المقدمة:

يعدّ أحمد مطر من ألمع الشعراء المعاصرين العرب الذي تناول الباحثون شعره من زوايا عديدة فهو بحق يعتبر من أهم شعراء المقاومة في العصر المعاصر والذي تناول موضوع المقاومة باسلوب فريد من نوعه وهو اسلوب السخرية والفكاهة. فعندما نتصفّح الأعمال الشعرية للشاعر أحمد مطر نجد السخرية قد أخذت حيّزاً واسعاً من الشعر الساخر بالنسبة لأنواع السخرية الشعرية المستخدمة في شعره، وقد ساهمت السخرية بأنواعها وأغراضها في تمثيل الواضع الراهن في العالم العربي حيث منحتنا صوراً واضحة عن قضايا الشعب العراقي والشعوب العربية.

فالشاعر الكبير أحمد مطر وظّف اسلوب السخرية كأداة فاعلة في تصوير الواقع المرير لشعبه العراقي والأمة العربية جمعاء. فهو استخدم بغزارة السخرية في شعره لاسيّما في المجال السياسي، فالسخرية عنده كما يقال سلاح هجومي لا يخرق الاعراف، ولا يتحّدى القوانين إذا أحسن استخدامه ظاهراً أو باطناً في عبارات و التفاتات ذكيّة. يصنف الشاعر أحمد مطر في خانة الشعراء السياسيين والشعراء المقاومة، له الأسلوب الخاص الذي يميزه من الشعراء الآخرين. تأثّر الشاعر من القرآن وألفاظه ومعانيه بشكل خاص وهذه القضية واضحة في أساليبه الشعرية، كالأسلوب القصصي. الأسلوب القصصي كأداة في يد الشاعر لبيان هدفه من إنشاد الشعر وهذا الهدف هو بيان المصائب الموجودة في مجتمعه. السخرية هو كسلاح في يد الشاعر لإفشاء مؤامرات السلطات الحكومية والمخبرين والقوي السريين والأجانب. مع أنّ أحمد مطر من شعراء الشعر الحرّ لكن يلزم نفسه بالقافية في أكثر الأحيان لما في القافية من أثر جيد علي السامعين والقرّاء. إكتفائه بالصور البيانية والبديعية يمثّل الخيال الشاعر و قدرة الشعرية لديه. أحمد مطر يستخدم كل هذه الأساليب ليبين إعتراضاته من وضع مرير مجتمعه وكبت الحريات سواء الحرية الإجتماعي أو حرية التعبير.

درسنا في هذا المقال النزر اليسير من قصائده الفكاهية الساخرة التي تبين قدرة الشاعر وبراعته على نظم الشعر في شتى الجوانب الشعرية، فالقصائد التي استخدم السخرية والفكاهة فيها كثيرة، جلُّها انصب في الجانب السياسي، وخالطته روح المعاتبة لبني قومه، فالشاعر يستعمل السخرية تنفسيا وتعبيرا عن مرارته. فالهدف الّذي حاولت الوصول إليه في

هذا المقال هو دراسة الشعر الساخر الثوري عند احمد مطر وتحديد مجموعة من السمات الأسلوبية التي تميز بها أسلوب الشاعر. وفي هذا الصدد طرحنا بعض الأسئلة ومن تلك الأسئلة ما يلي:

١- لماذا لجاء الشاعر إلى توظيف السخرية في شعره؟

٢- ماهي الأغراض الدلالية التي طرقها الشاعر عبر السخرية والتهكم؟

الدراسات السابقة:

يعتبر أحمد مطر من ألمع الشعراء المعاصرين العرب الذي تناوله الباحثون شعره من زوايا عديدة فهو بحق يعتبر من أهم شعراء المقاومة في العصر الحديث والذي تناول موضوع المقاومة بإسلوب فريد من نوعه وهو اسلوب السخرية والفكاهة. من بين هذه الدراسات دراسة عبدالحميد عبدالغفور بعنوان: العملية الابداعية من منظور تأويلي لاحمد مطر، ومقال الحكاية الساخرة في أدب احمد مطر، للباحث عبد الرفيع الهندي ومقال التوظيف القرآني في شعر أحمد مطر، للباحث حامد بكري ومقال المفارقة في شعر أحمد مطر، حافظ كوزي عبدالعال عيدان، ومقال اساليب السرد القصصي ووسائله في شعر احمد مطر، نجوي محمد جمعة. ودراسات نقدية أخري تناولت شعر أحمد مطر يطيل المقام عن ذكرها.

١- السخرية ومفهومها

تمثّل السّخرية فنّاً رائعاً من الفنون الانسانية الّتي تعبّر عن تطّور المجتمعات البشرية عبر التاريخ. السخرية صفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة الّتي تثير الضحك لدي القرّاء و هي "في الشعر طريقةٌ تعبيريةٌ منظوره، توسل بها الشعراء لنقد الاوضاع السياسية والاجتماعية والسير الفردية ونيل منها باسلوبٍ يترفع عن الشتيمة والسباب المحض و يتنزه عن القذف والايغال في الفحش ورفث القول ".(التميمي،د.ت:٣٥)

تمثّل السّخرية فنّاً رائعاً من الفنون الانسانية الّتي تعبّر عن تطّور المجتمعات البشرية عبر التاريخ. فالسخرية صفة في العمل أوفي الكلام أو في الموقف أو في الكتابة الّتي تثير الضحك لدي القرّاء وهي "في الشعر طريقةٌ تعبيريةٌ منظوره، توسل بها الشعراء لنقد الاوضاع السياسية والاجتماعية والسير الفردية ونيل منها باسلوبٍ يترفع عن الشتيمة و السباب

المحض ويتنزه عن القذف والايغال في الفحش ورفث القول".(التميمي،د.ت،٣٥) تقدم السخرية صورة هجائية عن الجوانب القبيحة والسلبية للحياة، كما تصوّر معايب المجتمعات ومفاسدها، وحقائقها المرّة بإغراق شديد، حيث تظهر تلك الحقائق أكثر قبحاً ومرارة لتظهر خصائصها وميزاتها بشكل أكثر وضوحا، ولتجلّي التناقض العميق بين الوضع الموجود والحياة الكريمة المنشودة. السخرية ما كان ظاهره جد وباطنه هزل، وطريقة السؤال عن شيء مع إظهار الجهل به، وان تلقي على محدثك - بعد التسليم بأقواله - أسئلة تثير الشكوك في نفسه حتى إذا انتقل من قول إلى قول أدرك ما في موقفه من التناقض واضطر إلى التسليم لجهله.(المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٣٠٦/١) فالسخرية إذاً لا يمكن أن تكون هي النكتة أو المزاح ولا هي التهكم ولا الهجاء ذاته ولا هي الفكاهة وحدها بل هي شيء أسمى من ذلك، إنها " رد الإنسان الأعظم على معاكسة القدر، وظلم الدهر، وقسوة الطبيعة أو عيوب المجتمع، ونقائص الناس، وهو يسخر من هذه جميعا، ولا يسبها ولا يحقد عليها بل يتأملها بهدوء ويبصر سخافتها وتناقضها وتفاهتها وصغرها، فيعلو عليها جميعا ويتحدث عنها بابتسامة هادئة جميلة مستخفة هازئة، وينبغي أن لا يكون حديثه سيء اللفظ بذيئا، ولا يكون محتدا ثائرا وإلا كان سخرا، فالسخر هو الهدوء التام والأدب التام والعلو التام عن مصائب الدنيا.(النويهي،١٩٦٩: ٣٣٢). يعتبر عباس محمود العقاد أوّل من تحدّث عن ملكة السخر عند المعرّي، ألّف الدكتور شوقي ضيف كتابة "الفكاهة في مصر" وهناك مؤلفون آخرون ألفّوا كتباً عديدةً في مجال السخرية والفكاهة والضحك وأخيراً الدكتور نعمان محمد أمين طه ألّف كتاباً سمّاه "السّخرية في الادب العربي حتي النهاية القرن الرابع الهجري" وإذا أردنا أن ندخل البحث لابدّ أن نشير إلى معني السخرية لغة وإصطلاحاً.

- السخرية لغة وإصطلاحاً.

السخرية هي الاستهزاء، نقول: سخر منه وبه ورد في لسان العرب سَخِرَ منه وبه سَخراً وسَخَراً ومَسخَراً و سُخراً و... هزئ به والاسم سخرة وسخريا وسخرية. وقد وردت في القرآن الكريم بلفظة السخرية في أربعة عشر موضعاً كما نقرأ ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾(هود: ٣٨) هنالك تعاريف عدّة للسخرّية، والتعريف المقترح للدكتور نعمان

طه هو: "لونٌ هزلي أدبي موجّه، يقوم علي النقض المضحك أو التجريح الهازئ، معتمداً علي أساليب ووسائط فنيه مختلفة وغرض الساخر هو النقد أولاً والاضحاك ثانياً وهو تصوير الانسان تصويراً مضحكاً إما بوضعه في صورةٍ مضحكة بواسطة التشويه أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوبٍ حين سلوكه مع المجتمع و كل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة". (طه،١٠:١٩٧٨) السخرية في مصطلحها الادبي هي" محاولة إعادة النظر للأشياء بصورة مختلفة، أيضاً يمكن أن تضفي السخرية علي بعض الأشياء كثيراً من المبالغة، هذه المبالغة الّتي لا تراد لذاتها بل لتلفّت الانتباه ولتميزها عن سواها، وأحياناً تصوّر الامور بشكل ظاهره الضحك وباطنه النقد والتنبيه..."(جاسم الحسين، ١٩٩٧: ٤٧) السخرية جرأة علي الواقع وأحياناً تعبر عن عدم التطابق بين المأمول والواقع وقد تنتج عن تباين الأساليب والرؤي وأحياناً يكون الشغل علي الشخصية فقد تأخذ بعض الحالات الغريبة الّتي تجعلها أكثر اقتراباً من الواقع...(نفس المصدر:٥٣) فالسخرية هي إحدى وسائل نقد الواقع وأن الانسان إنما يلجأ اليها ليعالج نواقص مجتمعه عن طريقها وهي في الادب لون صعب الأداء لما يتطلبه من موهبة خاصة وذكاء حاد و يمكن القول بأنّ السخرية هي النقد الضاحك أو التجريح الهازئ و غرض الساخر هو النقد أوّلاً والإضحاك ثانياً. والباعث الاساسي للسخرية هو مناقضة رأي المجموع أو ذوقه، وقد تكون نابعة عن حساسية الناقد نفسه، فهو يكون ذاعينٍ بصيرة نفّاذة، يحسّ نقائص المجتمع، ثمّ يكون ذا روح مرح ضاحك يتناول العالم وما فيه تناولاً بأساليب السخرية المختلفة يقصد من وراء ذلك الإصلاح.

"تختلف أغراض الشعراء من ممارسة السخرية، فنري فريقاً منهم يلجأون إليها بهدف التلهّي والضحك ودفع السآمة والملل ورفع كابوس الهم والحزن وإبعاد النفس عن الحياة الرتيبة، بإطلاقها من أسر الجد وإصطباغها بصبغةٍ هزليةٍ... إلا أنّ فريقاً آخر من الشعراء وعوا مسؤوليتهم الإجتماعية وموقعهم المميز فأشاروا إلى مواضع الفساد والافساد والتزلف والجهل وغير ذلك بهدف اصلاح المجتمع و القضاء علي مظاهر الفساد فيه..."(طالبي والزملاء،١٤٣٣-١٤٣٤:٧٨) "فالسخرية جرأة علي الواقع وأحياناً تعبر عن عدم التطابق بين المأمول والواقع وقد تنتج عن تباين الأساليب و الرؤي وأحياناً يكون الشغل علي الشخصية فقد تأخذ بعض الحالات الغريبة الّتي تجعلها أكثر اقتراباً من الواقع..."(المصدر نفسه:٥٣)

السخرية هي إحدى وسائل نقد الواقع وأنّ الإنسان إنما يلجأ اليها ليعالج نواقص مجتمعه عن طريقها و هي في الادب لون صعب الأداء لما يتطلبه من موهبة خاصة و يمكن القول بأنّ السخرية هي النقد الضاحك أو التجريح الهازئ و غرض الساخر هو النقد أوّلاً و الإضحاك ثانياً. "الغرض الاساسي من السخرية ليس الإضحاك، والاديب الذي يستخدم هذا النوع ينتقد الناس والمجتمع، ولكن في شيءٍ من الحياء والتحفّظ، و تكون لديه القدرة، على كشف النفس البشرية... " (السطوحي،٢٠٠٧: ٥٢)" والباعث الاساسي للسخرية هو مناقضة رأي المجموع أو ذوقه، وقد تكون نابعة عن حساسية الناقد نفسه، فهو يكون ذا عينٍ بصيرة نفّاذة، يحسّ نقائص المجتمع، ثمّ يكون ذا روح مرح ضاحك يتناول العالم وما فيه تناولاً بأساليب السخرية المختلفة، يقصد من وراء ذلك الإصلاح..." (طه،١٩٧٨: ١٧)

فالسخرية سلاح أقوي من السَّبِّ أو الضرب أو العراك. إنّ هذه الوسائل البدائية السالفة الذكر وسائل الانسان الضّعيف الحيلة و تدلّ علي انهيار الشخص النفسي لما حدث له من خصمه، تقدم السخرية صورة هجائية عن الجوانب القبيحة والسلبية للحياة، كما تصوّر معايب المجتمعات ومفاسدها، وحقائقها المرّة بالمبالغة الشديدة، حيث تظهر تلك الحقائق أكثر قبحاً ومرارة لتظهر خصائصها وميزاتها بشكل أكثر وضوحا، ولتجلّي التناقض العميق بين الوضع الموجود والحياة الكريمة المنشودة. "فالسخرية ما كان ظاهره جد وباطنه هزل، وطريقة السؤال عن شيء مع إظهار الجهل به، وان تلقي على محدثك - بعد التسليم بأقواله - أسئلة تثير الشكوك في نفسه حتى إذا انتقل من قول إلى قول أدرك ما في موقفه من التناقض واضطر إلى التسليم لجهله."(صليبا،١٩٧٨: ٣٠٦/١).

فالسخرية إذاً لا يمكن أن تكون هي النكتة أو المزاح ولا هي التهكم ولا الهجاء ذاته ولا هي الفكاهة وحدها بل هي شيء أسمى من ذلك، إنها "رد الإنسان الأعظم على معاكسة القدر، وظلم الدهر، وقسوة الطبيعة أو عيوب المجتمع، ونقائص الناس، وهو يسخر من هذه جميعا، ولا يسبها ولا يحقد عليها بل يتأملها بهدوء ويبصر سخافتها وتناقضها وتفاهتها وصغرها، فيعلو عليها جميعا ويتحدث عنها بابتسامة هادئة جميلة مستخفة هازئة وينبغي أن لا يكون حديثه سيء اللفظ بذيئاً، ولا يكون ثائرا وإلا كان سخرا، فالسخر هو الهدوء التام والأدب التام والعلو التام عن مصائب الدنيا".(النويهي،١٩٦٩: ٣٣٢)

٢ـ السخرية عند الشعراء العراقيين المعاصرين.

ما أكثر الهموم و المشاغل الّتي يواجهها الانسان في الحياة وقديماً قالوا "شرّ البلية ما يضحك" وما أكثر المصائب والنكبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الّتي ابتلي بها أبناء هذا العصر فانعكست علي لسان الادباء، ففي العراق و تحديداً بعد الحرب العالمية الثانية كان الوضع السياسي قاسياً جدّاً، وكان الشعر الساخر "نتيجة لسياسات الأنظمة الحاكمة من فقدان الأمن وتسلّط الدكتاتورية وكان من الطبيعي أن يرافقَ الشاعر في تعبيره هذا موجات من الغضب والعنف والسخط، فالكبت وانعدام الحرية وتكميم الأفواه والحاكم والمحكوم والجوع والتفاوت الطبقي كانت الباعث على قول الشعر الساخر، الساخط علي تلك الأنظمة وسياستها التعسفية، فكان هذا الشعر متنفّس الشعراء الّذين تشكلوا عبر جبهة معارضة لنظام الحكم و فساد السياسة "(الكعبي،٢٠١٢ م: ١٢٨)

و الشعراء العراقيون استخدّموا كثيراً من السخرية في موضوعات السياسية والاجتماعية في القرن العشرين. يقول معروف الرصافي في قصيدة "الحرية في سياسة المستعمرين":

يا قوم لا تتكلّموا ... إنَّ الكلامَ مُحَرَّمُ

ناموا ولا تستيقظوا ... ما فازَ إلّا النُّوّمُ

وتأخرّوا عن كلّما ... يقضي بأن تتقَدَّمُوا

ودعوا التفهّم جانباً ... فالخيرُ ألّا تفهمُوا...

(الرصافي،١٤٣)

ويقول "عبدالوهّاب البياتي" و هو من روّاد الشعر الحّر:

أجنَحة الشاعر في بلادنا جليد

تذوبُ إن طارَت إلى البعيد

قبّعة الثّلجِ عَلي (صنين)

تُحرِقها الشَّمسُ

فَلا يبقي سِوي الرّماد يكفّن الحقول

ويغمُر الوديانَ بالذّهول...

(البياتي،١٣: ١٩٩٥)

وإن أردنا أن نذكر عدداً من الشعراء العراقيين في العصر الحديث الّذين عُنوا بالسخرية نستطيع أن نذكر الجواهري واحمد الصافي النجفي ومظفر النّواب وأحمد مطر و... وقد اتخذ أحمد مطر السخرية أسلوباً لشعره فتجلت في كل شعره وأصبح طابعه في كل جوانبه وهو في قالب الشعر الحر. وقد استطاع الشاعر أن يستخدم ألوان السخرية بغزاره لاسيما في المجال السياسي. فالسخرية عنده سلاح هجومي لا يخرق الأعراف ولا يتحدّى القوانين إذا أحسن استخدامه ظاهراً أو باطناً في عباراته.

٣ـ أحمد مطر سيرته الذاتية والعملية.

وُلِد أحمد مطر في مطلع الخمسينات، ابناً رابعاً بين عشرة إخوة من البنين و البنات لأسرة فقيرة، في قرية "التنومة"، إحدى نواحي شط العرب في البصرة و عاش فيها مرحلة الطفولة، قبل أن تنتقل أسرته، وهو في مرحلة الصبا، لتقيم عبر النهر في محلّة الأصمعي". (غنيم،١٩٩٨: ٤٩) "وكان للتنومة تأثير واضح في نفسه، فهي تنضح بساطة ورقّة وطيبة، مطرّزة بالأنهار والجداول والبساتين، وبيوت الطين والقصب، وأشجار النخيل الّتي لا تكتفي بالإحاطة بالقرية، بل تقتحم بيوتها. وكثرة البساتين والأشجار يجعل منظرها خلّاباً يثير اعجاب الناظرين". (المصدر نفسه: ٥٢) "ترعرع أحمد مطر في أحضانِ الفقر والحرمان، الّذين يكابدهما سكان المدينة إضافة إلى اضطهاد النّظام المستبدّ في كلّ شؤون الحكم. فتأثّر بتلك العناصر الطبيعية الّتي تثير الاعجاب، كما أخذت سطوة الحكم من روحه ومشاعره كما نراه بوضوح في نغماتهِ الشعرية". (المصدر نفسه: ٥٤)

"بدأ مطر بإنشاد الشعر مبكرا فِي السّن الرابع عشر ولم تخرج قصائده الأولى عن نطاق الغزل والرومانسية لكن سرعان ما تكشّفت له خفايا الصراع بين السلطة والشعب فألقي بنفسهِ في فترة مبكرة من عمره في دائرة النّار، فدخل المعترك السياسي خلال مشاركته في الاحتفالات العامة بإلقاء قصائده و كانت تتمحور حول موقف المواطن من سُلطة لا تتركه ليعيش". (عايش،٢٠٠٦م: ٩)

القسوة والتعذيب ومرارة الواقع والصراع بين السلطة والشعب كان دافعاً لنظمه الشعر السياسي ووقوفه موقفاً جرئياً بوجه السلطة الحاكمة. ولم يكن لمثل هذا الموقف أن يمرّ بسلام، ما اضطَرّ الشاعر في النّهاية إلى توديع وطنه ومرابع صباه والتوجّه إلى الكويت، هارباً من مطاردة السلطة وهكذا عُرِف احمد مطر بشاعر المنفي منذ باكورة حياته، فلقد حرمته قصائده لذّة الوطن، وحرمته الحياة في مسقط رأسه منذ وقت مبكر من عمره وفَضّلَ - خلافاً للكثير من الشّعراء - أن يركب سفينة المقهورين والمضطهدين علي أن يسير في موكب الأمراء وأصحاب السلطان.

"وفي الكويت عمل في جريدة "القبس" محرّراً ثقافياً و كان آنذاك في منتصف العشرينيات من عمره، حيث مضي يدوّن قصائده التي أخذ نفسه بالشدّة من أجل ألّا تتعدى موضوعاً واحداً وإن جاءت القصيدة كلّها في بيت واحد. فكانت "القبس" الثغرة الّتي أخرج منها رأسه، وباركت انطلاقته الشعرية الانتحارية. وسَجّلت لافتاته من دون خوف، وساهمت في نشرها بين القرّاء". (المصدر نفسه،١٠-٩)

"وفي رحاب" القبس " عمل الشاعر مع الفنان الفلسطيني ناجي العلي، ليجد كلّ منها في الآخر توافقاً نفسياً واضحاً، فقد كان كلاهما يعرف غيباً أن الآخر يكره ما يكره ويحبُّ ما يحبّ، الروابط بينهما كانت تقوم علي الصّدق والعفوية والبراءة وحدّة الشعور بالمأساة ورؤية الأشياء بعين مجدّدة صافية، بعيدة عن مزالق الايديولوجية. وقد كان أحمد مطر يبدأ الصحيفة بلافتة في الصفحة الأولي وكان ناجي العلي يختمها بلوحته الكاريكاتيرية في الصفحةِ الأخيرة ". (عايش،٢٠٠٦: ١٧)

لقد شكلَ أحمد مطر صوتاً شعرياً متميزاً، انتشرت اشعاره بين الجماهير بمجرد بزوغها حيث بدا واضحاً أنّ الشاعر يمتلك مميزات خاصّة، جعلت منه صوتاً شعرّياً بارزاً فهو يكتب القصيدة القائمة علي المفارقة الساخرة، وعلي الوضوح الّذي لا غموض فيه. قد كتبَ قصائداً وسَمّاها "اللافتات" معتبراً أنّها "صوت التمّرد" ولها نفس مواصفات "اللافتة" الّتي يرفعها المتظاهرون من حيث الايجاز والسهولة والموقف المجدّد والهدف التحريضي. وعُرِف احمد مطر بأنّه "شاعر المنفي" و"شاعر الحرية" و"شاعر انتحاري" إنَّ لافتات مطر سهلة الفهم ولا توجدُ المفرداتُ الغريبة فيها، يستأنس بها القارئ حتي وإن كان حديث النشأة والعهد

بالأدب العربي وتحمل اشعارها في طياتها أروع المعاني وتستوقف الذهن اللبيب.

السخرية عند أحمد مطر تختلف كثيراً عن السخرية عند شعراء العرب، لأنه لا يسخر شخصاً أو قوماً من أجل الأغراض الشخصية أو الحزبية أو تيار دون تيار بل نجد غالبية سخريته في مجال الشعر السياسي الهادف يحمل قضية امة حرمت من حقها وسلّط عليها حكام لا ينتمون إليها ويتحدث عن قضية إنسان سلّطت عليه ألوان العذاب والظلم والقساوة كما يقول:

إنني لست لحزبٍ.. أو جماعة..
إنني لست لتيارٍ.. شعاراً..
أو لدكانٍ.. بضاعة..
إنني الموجة. تعلو حرفةً
ما بين بين..
وتقضي نحبها دوماً
لكي تروى رمال الضفتّين..
وأنا.. الغيمة للأرض جميعاً..
وأنا.. الريح المشاعة..
غير أني.. في زمان الفرز
أنحاز.. إلى الفوز
فإن خيرت ما بين اثنتين..
أن أغني مترفاً.. عند يزيد
أو أصلي جائعاً.. خلف الحسين
سأصلي.. جائعا.. خلف الحسين

❖ ❖ ❖

لست أهتم.. بمن كان معي..
أو كان.. ضدي..
لست أهتم بمن.. أترك بعدي..
لست أهتم.. بمن يبكي دموعاً..
أو بمن.. يبكي.. دماءا..

ليس عندي.. غير همٍ واحدٍ..
أن أسبق الموت إلى العيش
فأغدوا من ضحايا كربلاء

(المجموعة الشعريه:١٢٤)

وهذه الميزة "جعلت منه صوتا شعريا بارزاً، فهو يكتب القصيدة القصيرة القائمة علي المفارقة الساخرة، وعلي الوضوح الذي لا غموض فيه وكأنّه يسلك من خلال ذلك مسلكاً شعرياً له دلالاته في عالم الشعر الحر المعاصر الذي يطغي عليه النكوص إلى الغموض والإيجاز في محيطات الرمز"(كمال غنيم،١٩٩٨:٧).

"وتبدو نفسية أحمد مطر من خلال شعره مفعمة بالحزن والأسى، لكنّه بطبيعته الساخرة يمزج السخرية بالحزن، وهو يري أن سخريته غير مستغربة، ذلك أنه من خلال استقرائه لواقع شرائح المجتمع وجد أن من يحسنون السخرية والإضحاك هم أكثر الناس إمتلاءً بالحزن"(نفس المصدر:٤٣) وفي هذه العجالة لا يمكننا أن نفي هذا الشاعر حقّه وكيف ذلك وقد اتّخذ السخرية اسلوباً في معظم قصائده.

إن الشاعر قد تناول الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، لكنّ قسماً كبيراً من شعر الساخر تطرق إلى الحكام الظالمين و قضية فلسطين المحتلة و تعذيب وجور يتعرض له العربي في البلدان العربية من الخليج إلى المحيط. الشاعر في سخرياته يدخل بجرأة مذهلة ولسان لا يعرف المحاباة ولم يسلك مسلك الوعظ و الارشاد بل إنه ناقد ساخر، سخر من السياسة الجائرة التي قد تفتّحت عينا احمد مطر علي العالم و نشير فيما يلي إلى بعض موضوعات السخرية في شعر أحمد مطر تمحورت حول موضوعات مهمة وحيوية ومنها:

١ـ السخرية من قادة العرب والجامعة العربية.

سخر احمد مطر الحكام العربية لجهلهم وقسوتهم ونعتهم نعوتا نشمّ منها رائحة السخرية اللاذعة. فقد كتب الشاعر عشرات القصائد واللافتات الشعرية التي انتقد فيها الأنظمة العربية بشكل عام، فلا انتخابات حرّة نزيهة ولا للشعب دخل في تقرير مصيره ولا أمل في الخلاص من سلطة الطواغيت التي تكون لهم أدوات القمع من قتل وسجن وإعدام، ويرى الشاعر الحل الوحيد قتل جميع الحكام والرؤساء:

أنا لوكنت رئيسا عربيا

لحللت المشكلة

وأرحت الشعب مما أشعلة

أنا لوكنت رئيسا

لدعوت الروسا

ولألقيت خطابا موجزا

عما يعاني شعبنا منه

وعن سر العناء

ولقاطعت جميع الأسئلة

و قرأت البسلمة

وعليهم وعلي نفسي قذفت القنبلة

(المجموعة الشعريه: ٨٤)

مطر يعتقد أنّ الحاكم في البلاد العربية يعبد كما يعبد الله، العربي يشاهد صورته في كل مكان ويسمع في الاذاعة صوته و يري في التلفاز صورته:

صُورةُ الحاكم في كلّ اتّجَاه

باسِمٌ

في بَلدٍ يبكي مِنَ القهرِ بُكاه !

مُشرِقٌ

في بَلَدٍ تلهو الليالي في ضُحاه !

ناعِمٌ

في بَلَدٍ حَتّي بَلاياهُ

بِأنواعِ البلايا مُبتلاه !

صادِحٌ

في بَلَدٍ مُعتَقلِ الصَّوتِ

و منزوعِ الشِّفاه ! سالِمٌ

في بَلَدٍ يعدَمُ فيه الناسُ

بالآلافِ، يومّياً،

بِدَعَوَي الإشتباه

صورةُ الحاكم في كلّ اتّجاه

نعمةٌ مِنهُ علينا

إذ نَري، حينَ نَراه، أنَّهُ لَمّا يزَل حَياً

وَما زِلنا عَلي قَيدِ الحَياه !»

(المجموعة الشعريه:٣٢٧)

و في شعر آخر يخاطب الحاكم ويقول:

«قُلتُ لِلحاكم: هل أنتَ الّذي أنجَبتَنا؟

قالَ: لا...لَستُ أنا.

قُلتُ: هَل صَيرك اللّهُ إلَهاً فَوقَنا؟

قَالَ: حاشَا رَبَّنا.

قُلتُ: هَل نَحنُ طَلَبنا مِنك أن تَحكمَنا؟

قَال: كلّا.

قُلتُ: هَل كانَت لَنا عَشرةُ أَوطانٍ

وَ فيها وَطَنٌ مستَعملٌ زَادَ عَلي حاجَتِنا

فَوَهَبنا لَك هذا الوَطَنا؟

قَالَ: لَم يحدُث... و لا أحسَبُ هذا مُمكِنا.

قُلتُ هَل أقرَضتَنا شيئاً

عَلي أن تَخسِفَ الأرضَ بِنا

إن لَم نُسَدِّد دَينَنا؟

قَالَ: كلّا.

قُلتُ: مَا دُمتَ، إذَن، لَستَ إلهاً أو أباً

أو حَاكماً مُنتَخَباً

أو مالِكاً

أو دائِناً

فلِماذا لِم تَزَل، يا ابنَ الكذا، تَركبُنَا؟

... وانتهي الحُلمُ هُنا.

أيقَظَتني طُرُقاتٌ فوقَ بابي:

إفتَحِ البابَ لَنا

إنَّ في بيتِك حُلماً خائناً !»

(المجموعة الشعرية:٢٠٩)

٢ـ السخرية من فقدان حرية التعبير في البلاد العربية:

الموضوع المحوري لدي احمد مطر هو النضال للحرية، كتب عن الحرية التي لم تتحقق الا بقوة السلاح، إنّ همّه الاول و الاخر هو الحرية التي صودرت من قبل السلطة حوفي هذه الاجواء يفقد الشعب كل شيء من حرية رأيه امام الحكام الجائرين.

" أريدُ الصَّمتَ كي أحيا

ولكنَّ الّذي أَلقاهُ ينطِقُني.

وَلا ألقي سِوي حُزنِ

عَلي حُزنٍ

عَلي حُزنٍ

أ أكتُبُ " :أنّني حي "

عَلي كفَني؟

أ أكتُبُ " أنَّني حُرٌّ "

وَحَتّي الحرفُ يرسِفُ بِالعُبُوديه؟

لَقَد شَيعتُ فاتِنَةً

تُسَمّي في بِلاد العُربِ تَخريباً

وَارهاباً

وطعناً في القوانين الالهيه

ولكنَّ اسمَها واللّهِ

لكنَّ اسمَها في الأصلِ

... حُرّيه ! »

(المجموعة الشعريه:٣٣)

يقول احمد مطر في المجتمع العربي حين يموت الناقد السياسي تقوم الحكومة بتشييعه لكن هذا العمل ليس بمعني إكرامه علي يد الحكومة بل الحكام مع قدرة طاغية يحيطونه حتي في التابوت:

حين أموت

وتقوم بتأبيني السطة

يشيع جثماني الشرطة

لا تحسب أنّ الطاغوت

قد كرّمني

بل حاصرني بالجبروت

وتتبعني حتي آخر نقطة

كي لا أشعر أنّي حرّ

حتي و أنا في التابوت

(المجموعة الشعرية: ١٢٠)

في قصيدة أخرى يشير الشاعر الى انعدام التفاهم وحرية الراي بين الحاكم والشعب. فأوامر الحاكم لا تقبل التفكير أو النقاش ومن يفعل ذلك يلق القتل والهوان:

«عَلاقتي بِحاكمي

ليسَ لَها نظير

تَبدأ ثُمَّ تنتهي... بِراحةِ الضّمير.

مُتّفِقان دائماً

لكنَّنا

لَو وَقَع الخِلافُ فيما بَينَنا

نَحسِمُهُ في جَدَلٍ قَصير

أنا أقولُ كلمَةً

و هو يقولُ كلمةً

وَ إنَّهُ مِن بَعدِ أن يقولَها... يسير

و إنّني مِن بَعدِ أن أقولَها... أسير!

(المجموعة الشعريه: ١٤٥)

٣ـ السخرية من فتور العرب تجاه القضية الفلسطينية.

لقد ظن بعض من كتبوا عن أحمد مطر أنه من شعراء فلسطين؛ وذلك لاهتمامه البالغ بقضيتها، فما يحمله لها من فكر وحماس لا يقل عما يحمله أخلص شعراء فلسطين. من هنا

كانت علاقته بهذه القضية علاقة توحد لا انفصام لها وانعكس في شعره الساخر. شكلت القضية الفلسطينية محوراً بارزاً في شعره، فقد عالجها في مواضع كثيرة ومن زوايا مختلفة وفضلاً عن تحديد أسباب النكبة أشار في اكثر من مرة إلى الآفاق التي يمكن من خلالها إعادة الوطن السليب، و يحمّل الحكام العرب مسؤولية ضياع فلسطين لأنهم لم يحرّكوا ساكناً غير أنه يعتذر نيابة عن الإنسان العربي المكبل بالقيود والأصفاد من قبل الأنظمة الحاكمة المتواطئة على شعوبها وقضاياها المصيرية:

يا قدس معذرةً ومثلي ليس يعتذرُ

مالي يد في ما جرى فالأمر ما أمروا

وأنا ضعيفٌ ليس لي أثرُ

عار عليَّ السمع والبصرُ

وأنا بسيف الحرف انتحرُ

وأنا اللهيب.. وقادتي المطرُ

فمتى سأستعرُ؟!

(المجموعة الشعرية: ٢٧)

فلسطين عند احمد مطر، هي الرمز وقد تَغَنّي بها وراحَ يطلق الكلمات ويعَبِّر عن مدي عمق الجراح هناك وأنَّ فلسطين باقية ومازال النزال مستمرّاً رغم أنّ حكام العرب يبدو أنّهم قد نسوا فلسطين، فهم مشغولون علي هَزِّ القناني وعلى هزّ البطون ولكن و إن مَرّ زمَنٌ علي هذه القضية لكنّ الشرفاء سيعيدون الأرض المغتصبة للوطن الحبيب:

هَرِمِ الناس وكانوا يرضعون

عند ما قَال المُغَنِّي: عائدون.

يا فلسطينُ و مازال المُغَنّي يتَغَنّي

وَ ملايين اللحون

في فَضاء الجُرحِ تَفنَي

واليتامى... مِن يتامى يولَدُون.

يا فلسطينُ و أربابُ النِّضالِ المُدمِنون

ساءَ هُم ما يشهَدون

فَمَضوا يستنكروُن

وَ يخُوضُونَ النِّضالاتِ

عَلي هَزِّ القَناني وَ عَلي هَزِّ البُطُون !

عائِدون

وَلَقَد عَادَ الأسَي لِلمّرءِ الألفِ فَلا عُدنا...

وَ لا هُم يحزَنون !

(المجموعة الشعرية: ٢٠)

ينظر الشاعر إلى محنة الشعوب العربية القابعة تحت ظل الاحتلال بمنظار واحد، فهناك على الأرض شعب مبتلى بالاستبداد والتبعية، عاجز عن الحركة لافتقاره لعدتها المتمثلة في الإمساك بخيوط العلم الحديث مع الإيمان بمبادئ الأمة وتبنياتها الإسلامية، ومن دون ذلك لا يمكن لأي شعب عربي أن يتحرر من قيده، أو يعيش بهناء، وتحت هذا الباب يخاطب الرصافي قومه العرب مطالبا إياهم بترك الغفلة:

أقول لقومي قول حيران جازع تهيج به أشواقه فيقولُ:

متى ينجلي بالصبح يقوم ليلكم؟ فتذهب عنكم غفلة وخمولُ

فهناك ذلة وخنوع وتكاسل عن أداء المسؤولية، وما ذاك إلا لأن العلم مفقود ومنابعه ضحلة:

منابع العلم إن غاضت بمملكة فاضت بسيل الدواهي حولها بركُ

دور الشاعر في تنبيه الشعب إلى واقعه المر يتطلب منه ـ حتما ـ اتخاذ نوع من التوجه إلى

الجمهور فيه الكثير من التقريع والتهويل، والهدف إيقاظه من غفلته واستنهاض هممه، لأن الشاعر ـ أيا كان عصره ـ يمتلك موقفا فكريا وسلوكيا تجاه ما يعاصره من أنظمة سياسية وصيغ حكم، وهذا الموقف يبدو من خلال شعره عبر صيغ الرفض أو عبارات الولاء، وحتى الصمت والتلهي عن المشاركة الفكرية في صنع أو نقد الواقع يمكن أن يفرز موقفا شاعريا قوامه السلبية والانطواء على الذات، بعيدا عن الجماهير وطموحاتها، والواقع الفعلي لتاريخ الشعراء يفرز أعدادا هائلة منهم ممن نادموا السلاطين واتصلوا بهم، وأعدادا أقل ممن حاربوهم.

وأحمد مطر المعروف بمواقفه العدائية ضد الأنظمة المتغطرسة يتخذ أسلوبا أبلغ في التأثير على الناس، فبعيدا عن أسلوب الرصافي المتسم بالتمني ـ غالبا ـ كأنه يأمل أن يجد لصوته صدى يُسمع فيلجأ إلى الرجاء والاستعطاف نجد أحمد مطر يتخذ طابعا أكثر إيلاما كأنه يريد أن يخجل المتلقي عند سماع صوته، فيبعث إليه بمثل هذا اللوم:

شعبي مجهول معلوم

ليس له معنى مفهوم

يتبنى أغنية البلبل

لكن. . يتغنى بالبوم

يصرخ من آلام الحمى. .

ويلوم صراخ المعدوم

يشحذ سيف الظالم صبحا

ويولول ليلا مظلوم

يعدو من قدر محتمل

يدعو لقضاء محتوم

ينطق صمتا

كيلا يُقفل

يحيا موتا

كيلا يُقتل

يتحاشى أن يدعس لقما

وهو من الداخل ملغوم

قيل: اهتف للشعب الغالي

فهتفت: يعيش المرحوم

أحمد مطر فإنه يضع نوعا من الموازنة بين ما يفعله الأعادي وما يفعله حكام العرب، منبها إلى أن الغرب يشحذون الهمم ضدنا بخبرتهم في إنتاج الأسلحة المدمرة، وحكامنا لم يكتشفوا ـ إلى اليوم ـ آية الجهاد ضدهم، بل كان همهم منصبا على محاربة الشعب المغلوب على أمره، وتجويعه، وقطع أياديه:

الأعادي

يتسلون بتطويع السكاكين

وتطبيع الميادين

وتقطيع بلادي

وسلاطين بلادي

يتسلون بتضييع الملايين

وتجويع المساكين

وتقطيع الأيادي

ويفوزون

إذا ما أخطأوا الحُكم بأجر الاجتهاد

عجبا!

كيف اكتشفتم

آية القطع

ولم تكتشفوا رغم العوادي

آية واحدةْ

من كل آيات الجهاد

إن أحمد مطر يرى أن الغرب هم من يسيّر أمور بلادنا، وقد جعلوا من الحكام الطغاة أدوات لهم لتحقيق مآربهم، وليس الشعب إلا ملكا مشاعا لهم، فإن قاوموهم هلكوا، وإن أذعنوا لهم جاعوا، لأن الشعب هم من أسلم لهم القياد، ولم يجعل لنفسه كيانا يبني ويؤسس عليه أمور دولته:

هذي البلاد سفينةٌ

والغرب ريح

والطغاةُ هم الشراعُ

والراكبون بكل ناحية مشاعُ

إن أذعنوا. . عطشوا وجاعوا

وإن تصدوا للرياح

رمت بهم بحرا. . وما للبحر قاعُ

وإذا ابتغوا كسر الشراع

ترنحوا معها وضاعوا

دعهم

فإن الراكبين هم الفرائس.. والسباعُ

دعهم

فلوا شاءوا التحرر لاستطاعوا

ولذلك يطرح أحمد مطر هذا التساؤل، إذا كان الغرب يحمينا فلماذا نشتري منه السلاح دائما؟ وإذا كان هو العدو فلماذا نجعله يتحكم في أمورنا ونسلم إليه زمام قيادنا؟

ويبدو أن الشاعر يعرف حق المعرفة أن المصلحة القائمة بينهم وبين الحكام هي التي أعطت لهم هذا الحق في التدخل بكل صغيرة وكبيرة من أمور بلادنا، وهي التي جعلتنا سوقا لأسلحتهم وبضائعهم.

وهؤلاء الحكام الجبابرة يتخذ معهم أحمد مطر أسلوبا آخر أكثر سخرية واستهزاء، فهو يبني علاقته بهم على نوع من التبادل المنفعي، إذ لولاه ولولا أشعاره المجنونة لتوقفت أعمالهم، وعُطلت الكثير من مؤسساتهم، فهو يراهم يرتزقون من جنونه، لأن معظم أعمالهم قائمة على المطاردة والاعتقال والاستجواب والتعذيب وملء السجون، فإذا لم يتواجد هو وأمثاله فإن كل هذه الأعمال تتعطل، فيتعرضون للبطالة، ولا يجدون ما يأكلون:

آه لو يدرك حكام بلادي

من أكون

آه لو هم يدركون

لدعوا لي بالبقاء

كل صبح ومساء

أنا مجنون

أجل أدري

وأدري أن أشعاري جنون

لكن الحكام لولاي

ولولا هذه الأشعار ماذا يعملون؟

فإذا لم أكتب الشعر أنا

كيف يعيش المخبرون؟

وإذا لم أشتم الحكام

من يعتقلون؟

وإذا لم أُعتقل حيا

فمن يستجوبون؟

وبماذا يطلق الصوت وكيل الادعاء؟

وبماذا ياترى

يعمل أرباب القضاء

وعلى من يحكمون؟

وإذا لم يسجنوني

فلمن تفتح أبواب السجون؟

هؤلاء البؤساء

هم يد الحكم

ولولا أنني حيّ لطاروا في الهواء

فأنا أركض والمخبر والشرطيّ والسجان
والجلاد والفراش

والكاتب والحاجب والقاضي

ورائي يركضون

كلهم باسمي أنا يشتغلون

كلهم من خير شعري يأكلون

آه لو يدرك حكام بلادي العقلاء

آه لو هم يدركون

أنهم لولا جنوني. . عاطلون

لرموا تيجانهم تحت الحذاء

وأتوا من تهمتي يعتذرون

٤ـ السخرية من الشعوب العربية

لا يعتقد احمد مطر أنّ الحكومات وحدها الّتي تتحمّل مسؤولية حالة الضّعف العربي، بل يحمل الشعوب والأفراد المسؤولية ذاتها. وهو يردّد دائماً القول أنّ فرعون لن يقول "أنا ربّكم الأعلى" إلّا إذا رأي حوله عبيداً يطيعونه حين يضلّلهم. الشعوب لم تقم بدورها المطلوب وإنّما تردّد ما يريده الحكام و اكتفت بالأقوال من دون الأفعال وهكذا يحرّض الشاعر الشعوب ويدعوها إلى التخلّص من حكامها الظالمين.

إذا الضحايا سئِلَت

بِأي ذنبٍ قُتِلَت

لأ نتفضَت أشلاؤها و جَلجَلت: بذنبِ شعبِ مخلصٍ

لِقائدٍ عميل ! !

(المجموعة الشعرية:٥٨)

يعتقد احمد مطر التعايش مع الناس و تحمل الظلم أشدُّ من الإعدام ويعتقد أن المواطن في الوطن العربي لو أعدم أخفّ وأسهل من الحياة في هذا الوطن ويقول:

الإعدامُ أخَفُّ عِقابٍ يتَلَقّاهُ اَلفَردُ العَرَبِي.

أهُنالِك أقسَي مِن هَذا؟ طَبعاً...

الأقسَى مِن هذا

أن يحيا في الوَطَنِ العَربي !

(المجموعة الشعرية: ٢٥٤)

يري الشاعر المجتمع قد جاوز الحدّ في ذلته و تحمله للامتهان و لا سبيل لإصلاحه سوي أن تنبتَ الارضُ خلقاً آخر لأنّ المجتمع لو كان سليماً لكفاه نبي واحدٌ لإصلاحه يوجّه نقده وسخريته الّتي تعبّر عن ألم الشاعر لما يلحق هذه الأمة من ظلم بسبب صمت الشعوب والمفكرين والمثقفين في أرض كانت مهبط الأنبياء ورجال كبار واستبدلوا الكبريا بالذل:

فصيحنا ببغاء،

قوينا مومياء،

ذكينا يشمت فيه الغباء،

ووضعنا يضحك منه البكاء،

تسممت أنفاسنا

حتى نسينا الهواء،

وامتزج الخزي بنا

حتى كرهنا الحياء،

يا أرضنا.. يا مهبط الأنبياء،

قد كان يكفي واحد

لو لم نكن أغبياء؛

يا أرضنا

ضاع رجاء الرجاء،

فينا ومات الإباء،

يا أرضنا، لا تطلبي من ذلنا كبرياء،

قومي احبلي ثانية

وكشفي عن رجل

لهؤلاء النساء

(المجموعة الشعرية: ٣١)

٥ـ السخرية من الشعراء

احمد مطر شاعر لا يشبه شعراء عصره ولا ينتمي اليهم الشعراء الذين ينشغلون بالحب والغزل ولا يعتنون بما يجري في المجتمع العربي من الظلم والكبت وينتقد الشعراء الذين لا يشاركون الشعب همومه وتطلعاته. تشمل سخرية أحمد مطر الشعراء الذين ينشغلون عن

قضايا أمتهم بقضاياهم الخاصة ومن بينها الحب والغزل ويلعن الشاعر الذي يغازل الشفاه والنهدين وشَعر الحبيبة بقوله:

كفرتُ بالأقلام والدفاترْ

كفرتُ بالفصحى التي

تحبل وهي عاقرْ.

كفرتُ بالشعر الذي

لا يوقفُ الظلمَ ولا يحرّك الضمائرْ

لعنتُ كلَّ كلمةٍ

لم تنطلق من بعدها مسيرةٌ.

لعنتُ كل شاعرْ

ينام فوق الجمل النديّةِ الوثيرهْ

وشعبه ينام في المقابرْ

لعنتُ كل شاعرْ

يستلهم الدمعة خمراً

والأسى صبابةً

والموت قشعريرةً

لعنت كل شاعرْ

يغازل الشفاه والأثداء و الضفائرْ

في زمن الكلاب والمخافرْ

ولا يرى فوهةَ بندقيةٍ

حين يرى الشفاه مستجيرهْ !

ولا يرى رمانةً ناسفةً

حين يرى الأشداء مستديرهْ !

ولا يرى مشنقةً

حين يرى الضفيره !

...

في زمن الآتين للحكم

على دبابةٍ أجيرهْ

أو ناقة العشيرهْ

لعنت كلَّ شاعرٍ

لا يقتني قنبلةً

كي يكتب القصيدةَ الأخيرهْ !.

(المجموعة الشعرية: ٥٤)

يعتبر احمد مطر الشاعر الحقيقي هو الذي تعرّض نفسه للموت لأنّه يعتقدُ أنّه جعل صدره دفتراً و كتب شعره عليه بالسيف وإنّه يري الشاعر الذي يكتب عن واقعية المجتمع كالذي ينتحر بخنجر الكلام:

سبعون طعنة هنا موصولة النزفِ

تبدي ولا تخفي

تغتال خوف الموت بالخوفِ

سمّيتها قصائدي

وسّمها يا قارئي: حتفي !

وسّمني منتحراً بخنجر الحرفِ

لأنني في زمن الزيفِ

والعيش بالمزمار والدفِ

كشفت صدري دفتراً

و فوقه كتبت هذا الشعر بالسيف

(المجموعة الشعرية: ١٢)

كما ينتقد باسلوب لاذع وسائل الإعلام في الدول العربية لأنها وجدت لكي تخدم الحكام والصحفي لا يستطيع أن يقول ويكتب عن واقع المجتمع العربي ومصائب الشعب وآلامه وإنّما يمدح الحاكم في كل يوم:

صحيفة

عليها سطور كثيفهْ

وفيها سطور كثيفهْ

وفيها خطوط.. وفيها صور

تروح وتأتي بنفس الخبرْ:

يعيش الخليفةُ.. يحيا الخليفهْ !.

(المجموعة الشعرية: ٤٢٢)

وكانت رسالة الشاعر لديه أن يلتزم جانب الدفاع عن أبناء شعبه يصور معاناته وما لحقه من أذى بسبب شعره بأسلوب لاذع ويؤكد على دور القلم في تغيير الواقع يوكد أحمد مطر علي دور القلم في تغيير الواقع والأديب والناقد الملتزم ليس بإمكانه أن يسكت أمام ما يجري في بلاده وما يتعرّض شعبه من قمع وظلم وفساد و... لذلك يعتقد أنّ إلتزامه بشعبه يسبّب السجن والقتل في آخر المطاف ويقول:

جسّ الطبيب خافقي

وقال لي:

هل هاهنا الألمْ؟

قلت له: نعمْ

فشق بالمشرط جيب معطفي

وأخرج القلمْ !

هز الطبيب رأسه.. ومال وآبتسمْ

وقال لي:

ليس سوى قلم

فقلت: لا يا سيدي

هذا يد... وفم

رصاصة...ودم

وتهمة سافرة... تمشي بلا قدم

(المجموعة الشعرية: ٢٠)

ثم يوجه نقدا مرّاً وقاسيا إلى الشعراء الذين يهادنون السلطان. رسالة الشاعر لدي أحمد مطر الإلتزام بالدفاع عن أبناء شعبه وتصور معاناته وما لحقه من أذي بأسلوب لاذع ويعتقد أنّ مصير الشاعر الحيقي هو الإستشهاد كما أستشهد عدد منهم في هذا الطريق بقوله:

لا نامت أعين الجبناءْ

ورأيت مئات الشعراءْ

تحت حذائي

ووجوه يسكنها الخزي

على استحياءِ

في زمن الأحياء الموتى

على استحياءِ

في زمن الأحياء الموتى.

تنقلب الأكفان دفاتر

والأكباد محابرْ.

والشعر يسد الأبواب

فلا شعراء سوى الشهداءْ !

(المجموعة الشعرية: ٣٤)

ويسخر من الشعراء الذين يمجدون السلاطين بشعرهم مقابل بعض الأموال والنياشين الزائفة ويعلل سكوت بعض الشعراء عن قول كلمة الحق. الشاعر إما يأخذ الصلة ويسكت وإمّا يرفض كلامه إذا لم يكتم أسرار النظام الحاكم بقوله:

يا ناس أني صامتٌ

واحمد الله إذا لم اعتقلْ

بتهمه الكتمان

فالشاعر الشريف في أوطاننا

يُدانُ أو يُدانْ !

يا سادتي...

تلك هي القضيهْ.

(المجموعة الشعرية: ١٠٥)

نتائج البحث:

تتجلى في قصائد أحمد مطر الكبرياء الإنسانية التي يراها أرفع من كل ظالم وأعظم من كل سلطة، فهو يريد أن يعيد للإنسان قيمته الحقيقية التي أُنزل بها، ويدعو دائما إلى الثورة على الظلم والاستبداد والتسلط، وقد قصر كل حياته وشعره على الدفاع عن حق الإنسان في الوطن العربي، لم يكتب في أي غرض من أغراض الشعر إلا قضيته الكبرى التي وهب لها نفسه، ولذلك هو جدير بحق أن يكون شاعر الحس الشعبي، لأن إحساسه بمعاناة الإنسان ما كان له حدود. فهو لم يتجه إلى الفنون الشعرية الخالصة، إذ لم يكن من

اليسير عليه الاتجاه إلى الحب والغزل ووصف الطبيعة الساحرة التي لا يكون للسياسة أو النظام سلطان عليها، لأنه كان أقرب إلى معاناة الناس وهموم الفقراء. كانت السخرية من الواقع شعاره، بموسيقى تتفقّ مع الحدث وتنبع منه بتلقائية سيطر عليها وجمال موسيقاها، فهموم الشاعر هي هموم الوطن. تمثّل السخرية لدي الشاعر براعة ولعبة ذكية لا يجيد استخدامها إلّا الأذكياء المبدعون، لذا فإنّ براعته في السخرية شكلت حقيقة تميزه عن غيره من شعراء العربية المعاصرين، لأنّ الشاعر وَظَّفَها بوعي خدمة لبناء نص عربي جديد حتّي أنّ السخرية شكلت طابعاً مميزا لأعماله الشعرية و صارت علامة يمكن أن يتلمسها القارئ لشعره و ميزته هذه العلامة عن أقرانه من الشعراء العرب المعاصرين. فأهم ما توصل إليه البحث كالتالي:

- السخريةُ طريقةٌ تعبيريةٌ يتوسل بها الشعرا لنقد الاوضاع السياسية والاجتماعية وهي اسلوبٌ يختلف عن الشتيمة والسباب المحض.
- السخرية عند احمد مطر ليست للتسلية أو للهو والضحك وإنّما هي سخريةٌ هادفةً هدفها الدفاع عن شعبٍ محروم ومضطهد وتحريض الشعوب على القيام بوجه السلطات الجائرة.
- لشعر احمد مطر مميزٌ خاص، لونه وموضوعه سياسي اجتماعي لا يشمل الغزل وغيره بل يعرض كلما يرتبط بانعدام الحرية وظلم الحكام للشعوب العربية.
- يحرك الشاعر الضمائر بسبب جديته وثوريته وحماسيته فشعره ليس عاطفياً بل يخلو منه.
- احمد مطر يعرض في شعره الوطن العربي كأنّه وطن واحد ولا يختص ببلدٍ دون بلد و قضيته قضية الانسان العربي، بل قضيةٌ انسانية لا عراقي فحسب.
- تناولت سخرية أحمد مطر موضوعات سياسية واجتماعية بلغة نقدية صريحة لاذعة وواضحة هدفها الإصلاح وتوعية الشعوب والنهوض بهم لاستعادة حقوقها المسلوبة من قبل الحكام وجلاوزتهم.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن منظور، لسان العرب،١٩٨٨ م، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان.

٢- الأخطل، ١٩٩٥، ديوان، شرح مجيد طراد، دار الجيل، بيروت.

٣- بدوي، مصطفي،١٩٦٩، مختارات من الشعر العربي الحديث، دار النهار للنشر، بيروت.

٤- بكري، حامد، ١٩٨٨، الحكاية الساخرة في أدب احمد مطر، مجلة الأحداث، لندن.

٥- البياتي، عبد الوهاب،١٩٩٥، الاعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٦- التميمي، قحطان رشيد، دت، إتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت.

٧- جاسم الحسين، احمد،١٩٩٧م، القصة القصيرة جداً، منشورات دار عكرمة

٨- جميل صليبيا،١٩٧٨م، المعجم الفلسفي، شركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان

٩- الحوفي، أحمد، ٢٠٠٥، الفكاهة في الادب اصولها وانواعها، مكتبه نهضة بمصر، قاهره

١٠- حمودي القيسي، نوري،١٩٨١م، شعر الحرب عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد

١١- السطوحي، سها عبد الستار، ٢٠٠٧، السخرية في الادب العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قاهرة.

١٢- طالبي قره قشلاقي، ايرواني زاده عبد الغني، شاملي نصرالله، (١٤٣٣-١٤٣٤هـ): دراسة الهجو الساخر السياسي وأساليبه في شعر دعبل، مجلة اللغة العربية وآدابها بردیس قم، العدد ١٥،صص٧٣-٩٤

١٣- طه، نعمان محمد امين، ١٩٧٨، السخرية في الادب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفقية للطباعة بالأزهر، القاهرة.

١٤- عايش، محمد، ٢٠٠٦ احمد مطر، شاعر المنفي، دار اليوسف، بيروت.

١٥- عبدالعال، حافظ كوزي، ٢٠١٣، التوظيف القرآني في شعر أحمد مطر، مجلة آداب الكوفة، العدد ١٣.

١٦- عبدالغفور، عبدالحميد، ١٩٨٩، الالتزام في شعر أحمد مطر، مجلة الاصلاح الثقافي.

١٧- عيدان، انتصار جويدان، ٢٠١٢، المفارقة في شعر أحمد مطر، مجلة كلية اللغات بغداد، العدد٢٤.

١٨- غنيم، كمال احمد، ١٩٩٨م، عناصر الابداع الفني في شعر احمد مطر، مكتبة مدبولي، القاهرة.

١٩- الكعبي، احمد صبيح،٢٠١٢م، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد العاشر، العدد الأول.

٢٠- محمد جمعة، نجوى، ٢٠١٣، اساليب السرد القصصي و وسائله في شعر احمد مطر، مجلة دراسات البصرة، العدد١٦.

٢١- مطر، احمد، ٢٠١١م، المجموعة الشعرية، دار الحرية، بيروت، لبنان.

٢٢- مطر، أحمد (١٩٨٧م). لافتات. الطبعة الثانية. لندن.

٢٣- ..... (٢٠٠١م). لافتات ٢. الطبعة الثانية. لندن.

٢٤- ..... (١٩٨٩م). لافتات٣. الطبعة الأولي. لندن.

٢٥- ..... (٢٠٠١م). لافتات٤. الطبعة الثانية. لندن.

٢٦- ..... (٢٠٠١م). لافتات ٦. الطبعة الثانية. لندن.

٢٧- ..... (١٩٨٩م). ديوان الساعة. الطبعة الأولي. لندن.

٢٨- ..... (١٩٨٩م). إنّي المشنوق أعلاه. الطبعة الأولي. لندن.

٢٩- ..... (١٩٩٠م). العشاء الأخير. الطبعة الأولي. لندن.

٣٠- النويهي، محمد، ١٩٦٩م، ثقافة الناقد الادبي، دار الفكر، بيروت

٣١- الهندي، عبد الرفيع، ١٩٩٣م، العملية الابداعية من منظور تأويلي لأحمد مطر، مجلة المنعطف، العدد الرابع.